البورصة ومضارباتها

للكاتب الاديب بشال افندي الياس سماحه

تكاثرت اشغال المضاربات في البورصة في بلادنا وازداد عدد المجازفين باعمالها وخصوصاً في السنين الاخيرة حتى ذهب البعض يتعاطونها كعمل تجاري خاص. ولمّا كان قد تعاظم شر هذه المضاربات وتكاثرت خسائرها رأيت ان آتي هنا بلمحة وجيزة اضمنها شيئاً مما ساعدتني الظروف للتوصل اليه من معرفة احوالها سيّما وان في بلادنا الآن فريقاً عظيماً ممّن يزاولون هذه الاشغال الواهنة تراهم عند البحث والامتحان بالحقيقة اغبياء. واذا عمدتَ الى مذاكرتهم في احوالها وجدتهم انهم ليس على شيء اكيد راعن من معرفة كيفية اعمالها واساليب معاملاتها واسباب تأثير سوقها من صعود وهبوط

لذلك اذا جالست احدهم تراه تيهاً مخطرباً. افكارهُ في انشغال دائم واحوالهُ في قلق عظيم وما هذا الّا من جراء احوال السوق المتغايرة وتقلباتها المتواترة وعلى هذه الفئة ينطبق قول الشاعر:

كريشةٍ في مهبّ الريح طائرةٍ لا تستقرُّ على حالٍ من القلقِ

اسم البورصة وحقيقتها التجارية

يفهم بالبورصة سوق عموميّة يجتمع فيها التجار للمعاملات. واصل اللفظة من اللغة الفرنسويّة (Bourse) لم يتّفق اللغويون على اشتقاقها في هذه اللغة فقيل ان البورصة منقولة عن اسم بعض اهل مدينة بروج (Bruges) يدعى فان دير بورص (Van der Burse) كان يجتمع في بيته التجار لعقد شركات دولية وتعيين رأس مالها. وقيل بل دُعيت بذلك لانّ هذه الشركات كانت تُعقد في تل كبير من مدينة استردام يُدعى تل الثلاثة الاكياس (hôtel des Trois Bourses)

على انّ هذه الاسواق التجاريّة العموميّة ليست بحديثة فان التاريخ يذكر ان تجار اثينة كانوا يجتمعون في بعض نوادي مرفإهم المدعو پيره (le Pirée) لمثل هذه المضاربات. وكذلك الرومان قبل المسيح كان لهم ما يشبه هذه الاسواق يؤمّونها

للمعاملات التجارية . اما في اوربة فان هذه النوادي العمومية للتجارات لا تتجاوز القرن السادس عشر

ولهذه الاسواق التجارية مباني خاصة شُيّدت لها في حواضر المدن تدعى ايضاً باسم البورصة تسمية للمكان باسم ما يجري فيه . وربّما كانت هذه النوادي فخيمة جداً كما ترى في باريس ولندن ونيويرك . ويفرز لها في الغالب دواوين لاعضاء المجلس التجاري ومكان واسع لمحال الصرف والسماسرة يجتمعون فيه فيتخابرون في امورهم ويتبايعون التراطيس المالية والاسهم التجارية . واليه ايضاً يتوارد ارباب التجارة وكبار الماليين بل سائر طبقات القوم للمشتريات والمبايعات فيتعاطون الاشغال ويتاجرون بالحاصيل والغلال وسندات الحكومات واوراق الشركات واسهم المعادن الى غير ذلك من المعاملات المتنوعة التي لا تقع تحت حصر ولا يفي بها احصاء

وكثيراً ما ينشأ لكل صنف من اصناف المعاملات نادٍ خصوصي كما نراه في لندن التي امتازت بين أمهات المدن بنوادي بورصتها منها البورصة المعروفة بالمصرف الملكي (Royal-Exchange) حيث تجري المعاملات على بيع العملة والمواد الذهبية والفضية والاوراق المالية وما شاكل ذلك . ومنها بورصة رؤوس المال العمومية (Stock-Exchange) مخصصة ببيع السندات العمومية وشرائها وبالتاليف على المعادن وغيرها . ومنها بورصة الفحم (Coal-Exchange) تقام فيها لسواق اصناف الفحم كفحم نيوكيل وكرديف . وبورصة البضائع التجارية (Commercial Sale Rooms) للمضاربات على مبيع غلال المستعمرات واشترائها وغير ذلك

وبورصة باريس مشهورة في العالم كلهِ بحركتها وكثرة اعمالها ومَن دخلها رأى من جلبة المعاملين وتحمسهم في الاشغال ما اخذ منهُ العجب . والعالم الجديد يجاري بنواديهِ التجارية العالم القديم فانَّ في نيويرك اعظم سوق للمضاربات في الاقطار . واشهر هذه المنتديات البورصة المسماة (The New Stock - Exchange) قد تكاثرت فيها الاشغال حتى قيل انَّ في ١٨٩٥ بلغ مجموع ما تمَّ بيعهُ هنالك عن يد السماسرة اربعين مليون سهم . وفي السنة ١٨٩٩ ازداد عدد المضاربين حتَّى جاوزت معاملاتهم ١٧٠ مليون سهم ثمَّ ادركت في السنة ١٩٠١ نيفاً و٢٥٠ مليوناً فتأمل . وبورصة الاسكندرية ذات

شأن عظيم واشغالها كثيرة غير انها في اغلب الاحيان تكون تابعة من حيث تأثير الاسعار لسوق نيويورك

ويؤخذ من فكاهات جرائد نيويورك انهُ قدمها اخيرًا من شيكاغو رجلٌ يدَّعي النبوة تحت اسم « النبي ايليا » مع ثلاثة آلاف من تابعيهِ وقصدُهم الوحيد معاكسة اشغال البورصة ومنع المضاربات وكان حضورهم مع ثمانية قطارات وقام لوداعهِ من هنالك جمعٌ غفير كان قد احتشد على المحطة بالصلاة والابتهال لنجاح مسعاه . ولدى وصوله الى نيويورك استأجر لهُ محلاً رحبًا لاجل القاء المواعظ والخطب لحض الناس على اجتناب اشغال البورصة والمضاربات مظهرًا لهم اضرارها الوخيمة وخسائرها العظيمة فاجتمع حولهُ القوم افواجًا لسماع اقواله وكان يلقي المواعظ والخطب يتواتر وينشرها بعد ذلك في جريدة يومية انشأها لهذه الغاية واعدَّ لها مطبعة خصوصية . وكانت حاشيتهُ مؤلفة من ٥٠٠ حارس مدرَّع و ٦٠٠ مرتل اما النبي المذكور فهو الدكتور دواي وكان سابقًا قبل بضع سنوات قصد لندن للقيام بالامر عينهِ غير انهُ لم يصادف فيها نجاحًا لسخرية القوم باقوالهِ وثورتهم عليهِ فتركها غير آسف وذهب وهو يحمدُ الله لخروجهِ من بينهم سالمًا معافى

٢ مضاربات البورصة

اعلم انَّ معاملات البورصة يمكن ان تكون للمبادلات التجارية محضًا . وليس الكلام عنها . وانما كلامنا عن المضاربات فقط . والمضاربة في عرف اهل البورصة انما هي مشترى شيء يؤمل بيعهُ بعد ذلك بربح او بيع شيء يؤمل مشتراه بسعر بخس (١ وتطلق عمومًا لفظة مضارب على كل مخاطر باي عمل كان وتدلُّ في سوق البورصة على كل مجازف ضعيف الحال يخاطر بمركزهِ وحالهِ في اشغالها الهوائية تحت امل الكسب العاجل لان معظم هذه الاشغال ان لم نقل جميعها محفوفة بالمخاطر الجسيمة والخسائر البليغة نظرًا لما يطرق على سوقها من التقلبات السريعة الخالقة والغير المنتظرة

١) على ان هذا البيع وذلك الشراء ولئن كانا بمقدوري التسليم من حيث العقد الَّا انهما من جهة التعامل الحقيقي الفعلي معلَّقان على ان يؤدي احدُ المتعاقدين الى اخر الفرق بين اثمن المسمَّى يوم العقد وبين السعر الذي يبلغهُ المبيع يوم الأجل لان المعاملات البورصية تكون كلها بالنسيئة اي معلَّقة التسلُّم والتسليم على اجل مسمًّى . وبعبارة أخرى ان البيع والشراء في البورصة يكونان رسمًا لا حقيقةً ولذلك اطلق عليهما القانون الشماني اسم المعاملات الهوائية

وتُعقد مضاربات البورصة بتفويضات معزّزة بمبلغ تأميني يُدعى مارج (marge) باصطلاح العامة يتلقاها اصحاب الأجنسيات (agents de change) من المضاربين الطالبين البيع او الشرى ويجرون من طرفهم المعاملة بموجبها بسوق البورصة الصورية لمصلحة الطالبين مقابل عمولة (commission) على ذلك

ولمّا كانت شروط المبيعات والمشتريات بسوق البورصة جميعها مرجولة الى اجال معلومة محدودة اصبح كل مشترٍ او بائع عند استحقاق ميعاد التسلّم والتسليم مجبورًا على اجراء احدهما. فلو فُرض ان احوال السوق قد ساعدت المشتري بارتفاع الاسعار واصرّ على استلام البضاعة من البائع الذي يعجز عن ذلك فيصبح والحالة هذه ذلك البائع فاقدًا تمام مركزه وهو ما يُدعى باصطلاح المضاربين مكشوفًا ويضطر الى المشترى عكس خطته لئلّا تتعاظم الخسارة عليه وهو ما يُسمّى عندهم ايضًا بالتغطية (couvrir) ثم عند تغطية المكشوف وحيث تكون الاسعار قد تناهت وبلغت اقصى درجة ممّا يؤمل بالصعود وغاية ما تدعوهُ اليها الاحوال ينقلب عندئذٍ المشترون اعني حزب التحسين الى عكس مجراه وهو المبيع فيأخذ عند ذلك السوق بخطّة النزول ويُدعى هذا برد فعل فينال اذ ذاك حزب الصعود قيمة فرق الاسعار التي يُغرم بدفعها حزب النزول. وتكون الاحوال على عكس ذلك لو كان السوق اخذًا خطة النزول. ولا يخفى على العاقل البصير ما في هذه الاشغال من المخاطر التي تجلب على اربابها اعظم المصائب كيف لا وانّنا نرى احوال هذه الاعمال متناقضة متضاربة متخالفة هوائيّة لا يُعرف لها قاعدة ولا يُبنى عليها قياس

٣ البورصة في بيروت

وقد تكاثر في بيروت في هذه السنين الاخيرة امر هذه المجازفات حتى تطرق البعض باعتبارها تجارةً خصوصية يتعاطونها وجعلوا يراقبون حركاتها من صعودها وهبوطها بيعًا وشراء. وفي سنة ١٨٩٣ تعدد طلاب البورصة وتكاثرت اشغال المضاربات في بيروت واخذت اسهم المعادن بخطة الصعود فحمي وطيس الاعمال واغترّ الاكثرون بظواهر الاحوال واندفع فريق عظيم الى المشتريات والمضاربة. ومنهم قوم قيل انهم جمعوا المال بالفرش الواحد من التقتير والاقتصاد وغيرهم من الكد وعرق الجبين

وكانت قد تألفت لذلك وكالات (اجنسيّات) عديدة عندنا خدمةً لهذه التجارة

وتسهيلا لاعمالهم . وكان لها سماسرة ماجورون يتجولون في كل ناد لترغيب القوم ودفعهم الى الاشغال والاقبال على العمل وقيل انهم كانوا من الدهاة الماهرين ومن ذوي الحنكة والدراية يقضون على القوم الاخبار الكثيرة العجيبة من غنى البعض في بلاد اوربة واثراء الآخرين في اميركة من وراء المضاربات بالبورصة الى غير ذلك لاجل استنهاض هممهم ودفعهم الى العمل قبل فوات الوقت المناسب (وكما كانوا يقولون) وضياع الفرصة الملائمة للمكاسب

فكان ذلك داعيا الى انخداع كثيرين من البسطاء للتورط بهذه الاشغال وخصوصاً فئة من الناس الذين لم يكونوا يدركون من اعمال البورصة وحالاتها وكيفياتها سوى اسمها المعروف . وكانت تلك الاجنبيات عظيمة الاهتمام بتصدير النشرات المتواترة يومياً عن اسعار السوق وتوزيعها على الزبن وكان البعض من المضاربين لا يسعهم الانتظار الى الصباح لاجل اخذ الاخبار فيقضون اطراف الليل في السهر انتظاراً لورود اخبار قفل سوق نيويورك للاطلاع على اسعارها

وقد راجت سوق البورصة بذلك الوقت في بيروت واي رواج حتى اضحى امرها شغل القوم الشاغل . وكنت اذا تجولت في اسواق البلدة ونوادي القوم لا تسمع سوى حديث عن المرزمبيك والشابا والديبس والترنسفال والشارتردرا المتروبوليتين والرندفنتين والسكر والقطن المصري والقطن الاميركاني الى غير ذلك من اسهم المعادن والاوراق من اشغال البورصة

كيف لا وكانت قد شغلت طلبات البيروتيين اسواق البورصات الاوربية والاميركانية والمصرية حتى انهم ادهشوا بتلك النهضة الغير المألوفة من مثليهم رجالها واعجبوا بعزم اندفاعهم اعظم مضاربيها . وبينما هم على تلك الحال هائمون في بحار التخيلات طائرون في فضاء الاوهام اذ طرق على سوق البورصة ذاك النزول المشهور الذي صفق المضاربين صفقة اليسة قد ضعضعت شملهم ونجم عنها للبيروتيين من الاضرار الجسيمة والخسائر الفادحة كما وانها انحطت ركاب التجار ففقدوا الثقة المالية من ربوعهم في تلك الايام ما جعلهم ان يكون لهم عبرة في اشغال البورصة الى مستقبل الايام

الرأي العام

وكما تقدم اليه الكلام ان قصد المضاربين من اشغال المضاربات هو الكسب العاجل ولكن هيهات ان يعادفوه اذ « تجري الرياح بما لا تشتهي السفن » خصوصاً اننا نرى اكثر من يتعاطون هذا العمل ضعيفي الساعد على احتمال تقلبات الاسعار ونكبات الخسائر

وغاية ما يُقال في امر هذه الاشغال انهُ مناف على خطة مستقيمة لروح الشرائع وعبثاً يسعى البعض في الرافعة عن العاملها بحجج يقنع لها السذج غير ان اجتماع كلمة الرأي العام على التنديد بهذه الألعاب لأقوى دليل على فسادها ومضار نتائجها

وقد طالعنا اخيراً في الجرائد اخبار الهيجان الحاصل باسواق المضاربات سواء كان في اوربة او في اميركة وسمعنا بنهضة رجال الشداء وقيام قوم عقلاء يسألون حكوماتهم وضع حدّ لتيار هذه المجازفات الوخيمة وسن قانون يوقف اندفاع المضاربين وطياشة اعمالهم التي تجلب على العالم اعظم الخسائر وتفسد الاخلاق (١

ولمّا كانت القاهرة من اهم اشغال هذه المضاربات رأينا انْ نفرد لها ايضاً بحثاً يأتي الكلام عليهِ في عدد آخر ان شاء الله

المخطوطات العربيّة في خزانة كليّتنا الشرقيّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٤ الدوريات والمجامع

(العدد ٢٨) مجموع طولهُ ٢٢ سنتيمترًا في عرض ١٦ س عدد صفحاتهِ ٥٢٦ وفي الصفحة ١٧ سطراً كُتب في اواسط القرن الثامن عشر . وفي صفحتهِ الاخيرة تاريخ سنة ١٩١ لعلّها السنة الهجريّة ١١٩١ الموافقة للسنة ١٧٧٧ . وهو مخطوط على قرطاس

١) اما حكومتنا السنية فانّا أيّدها الله قد استدركت فحظّر قانونها المعاملات (الحوالة) على الاطلاق بحيث انهُ لو تقدّمت لاحدى محاكمها دعوى مبنيّة على تلك المعاملات فان المحكمة تردّها ولا تسمعها